نشاط فرسان القديس يوحنا في الحوض المتوسطي خلال القرن 16 م –بين الجهاد المقدس ورحلة البحث عن الوطن–

Efforts of the Knights of St. John in the Mediterranean during the 16th century - between the holy fight and the search for the homeland -

فيصل مبرك

[1] المركز الجامعي أحمد بن عبد الرزاق حمودة– بريكة (الجزائر)، fayssal.mabrak@cu-barika.dz

تاريخ الإرسال: 2022-12-30**تاريخ القبول**: 2024-03-11**تاريخ النشر**: 2024-06-30

ملخص: (لا يتعدى 150 كلمة) يضم الملخص الهدف من المقال، المنهجية المتبعة، وأهم النتائج.

يرى بعض المؤرخين الغربيين أن فرسان القديس يوحنا قدموا تضحيات مقدسة مع مطالع العصر الحديث، فحاربوا بدعم أوروبا أحيانا؛ وحاربوا نيابة عنها أحيانا أخرى، وفي منظور مغاير، هناك من يطرح قضايا التنافس والصراع والعنف في البحر المتوسط بعد معركة ليبانتو 1571، على أن تلك الأحداث المتوسطية التي تلت هذا التاريخ أنتجت المفهوم الحديث للدولة، هذه الدولة التي تسعى لممارسة العنف خارج حدودها، فهي بذلك تنظر للمتوسط على أنه وسيلة من وسائل السياسة التجارية لضمان المصالح الاقتصادية دون أن تكتسب موقفا مهيمنا يسمح لها بالسيطرة على كل أبعاد الفضاء المتوسطي، وفي هذا الطرح سيجد فرسان القديس يوحنا أيضا مناخا جيوسياسيا لتحقيق مشروع قيام وطن قومي لهم، وفي محاولتنا لفهم منظمة أخوية محاطة بالغموض والسرية مثل جماعة فرسان القديس يوحنا؛ لا يمكن إلا أن نرجع للسياق التاريخي لنشاط هذه الجماعة لنعرف ماهي الأهداف التي تسعى إليها من خلال نشاطاتها الحربية والبحرية في القرنين 16 و17 الميلاديين؟

الكلمات المفتاحية: فرسان القديس يوحنا؛ مالطا؛ البحر المتوسط؛ الدولة العثمانية

Abstract : (Do not exceed 150 words)

Some Western historians believe that the Knights of St. John made sacred sacrifices with the dawn of the modern era, and they fought with the support of Europe sometimes; And they fought on its behalf at other times, and in a different perspective, there are those who raise issues of competition, conflict and violence in the Mediterranean after the Battle of Lepanto 1571 on the grounds that those Mediterranean events that followed this date produced the modern concept of the state, this state that seeks to practice violence outside its borders, the

Mediterranean For it, an important economic field is not an area for expansion and domination. Within this framework, the Knights of St. John will also find a geopolitical climate to achieve the project of establishing a national home for them, and in our attempt to understand a fraternal organization shrouded in mystery and secrecy such as the Knights of St. John; We can only go back to the historical context of the activity of this group to know what goals it seeks through its military and naval activities in the 16th and 17th centuries?

Keywords: Knights of St. John; Malta; The Mediterranean Sea; Ottoman Empire

المؤلف المرسل: فيصل مبرك، **الإيميل**: fayssal.mabrak@cu-barika.dz

1– مقدمة:

لا يمكن فتح أي ملف له علاقة بتاريخ البحر الأبيض المتوسط؛ إلا وكان المؤرخ الفرنسي فرناند بروديل Fernand Braudel حاضرا فيه وبقوة، وعلى الرغم من أن هذا الرجل يحظى بالاحترام والمكانة العلمية؛ إلا أنه يبقى عرضة للنقد في بعض ما بنى عليه أفكاره، لا سيما تلك التي تمس قضية الانتماء الحضاري للبحر الأبيض المتوسط من حيث جدلية الصراع بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، ففرناند بروديل يعتبر البحر الأبيض المتوسط بحيرة غربية، لا يمثل فيها الإسلام إلا دور المتطفل، فهو بهذا يساير ما طرحه هنري بيريني Henri Pirenne؛ بخصوص الموطن الحقيقي للإسلام، الذي لا يمكن أن يتجاوز الصحراء، وأن الإسلام يجب أن ينحصر تاريخيا وحضاريا بين مربع مكة، القاهرة، دمشق، وبغداد، ومنه فوصول الإسلام وانتشاره على سواحل البحر المتوسط، ما هو إلا تطفل تؤكده الحقائق التاريخية والقرائن الحضارية (liauzu, 1999, p. 179).

غير أن الإسلام ومنذ سنوات الفتح الأولى تطلع إلى الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط من خلال فتحه لبلاد الشام وفلسطين ومصر وخوضه أولى الحروب البحرية "معركة ذات الصواري"، كانت هذه المعركة مؤكدة على القدرة الحربية للمسلمين للقتال في البحر رغم نقص التجربة وانعدام الخبرة (مختار، 1966، صفحة 326)، وتجدر الإشارة إلى أن النظرة الأوروبية هذه؛ ليست وليدة القرن العشرين بل

ترجع إلى أقدم من ذلك بكثير، فلا غرو أن تكون منطقة المتوسط منطقة صراع تفرض منطق القوة والغلبة، ولا سيما أن أوروبا في العصر الوسيط كانت تسمي هذا البحر بالبحر الأوروبي كما كان المسلمون أيضا حينها يسمونه بحر الروم أو البحر الرومي، لهذا اعتبر المتوسط ساحة قتال مقدس تقاطعت فيه المصالح الإمبراطوريات التوسعية والاقتصادية مع المصالح الكنسية والتطلع الإسلامي لفرض السيطرة.

ومن جهة أخرى؛ نجد أن المسلمين وجدوا في هذا البحر مجالا للجهاد والفتح الإسلامي، فاعتبروا أن السيطرة على المتوسط تساوي السيطرة على كل العالم، وبالفعل وصل الإسلام إلى مصر وبلاد المغرب والأندلس ومعظم الجزر المتوسطية، وفي هذا المناخ أيضا وجد فرسان القديس يوحنا مساحة لتقديم تضحيات مقدسة مع مطالع العصر الحديث، فحاربوا بدعم أوروبا أحيانا؛ وحاربوا نيابة عنها أحيانا أخرى، وتجلى ذل في مساهماتهم المعتبرة في الحروب الصليبية، إذ يمكن القول أن الأخوية الأسبتارية قد تم تأسيسها فعليا في بيت المقدس حين استقرار المسيحيين فيها خلال القرن 12م (سميث، 1989، صفحة 63).

في منظور مغاير مخالف لكثير مما يطرحه المؤرخون الكلاسيكيون؛ نجد من يطرح قضايا التنافس والصراع والعنف في البحر الأبيض المتوسط يبدأ مع العصر الحديث بصورة أخرى، وهذا الطرح يتخذ معركة ليبانتو 1571 مَعَلَمَ بِدَايَةٍ له، ذلك أن تلك الأحداث الكثيفة التي شهدها الحوض المتوسطي؛ والتي تبدوا في ظاهرها فوضوية؛ أنتجت المفهوم الحديث للدولة، هذه الدولة التي تسعى للمنافسة والتوسع وتصدير العنف خارج حدودها، فهي بذلك تنظر للمتوسط على أنه وسيلة من وسائل السياسة التجارية لضمان المصالح الاقتصادية والسياسية بغض النظر عن السيطرة والهيمنة والتوغل في العمق واليابسة (Kaiser, 2013, p. 2)، وفي هذا الطرح سيجد فرسان القديس يوحنا أيضا مناخا جيوسياسيا لتحقيق مشروع قيام وطن قومي لهم، وفي محاولتنا لفهم منظمة أخوية محاطة بالغموض والسرية مثل جماعة فرسان القديس يوحنا؛ لا يمكن إلا أن نرجع للسياق التاريخي لنشاط هذه الجماعة لنعرف ماهي الأهداف التي تسعى إليها

من خلال نشاطاتها الحربية والبحرية في القرنين 16 و17 الميلاديين؟ وماذا يعني البحر الأبيض المتوسط لأوروبا الغربية؟ وماذا يعني للدولة العثمانية أيضا؟

2.البحر المتوسط مجال اللقاء بين الدين والسياسة:

أطلق على المعارك والحروب البحرية التي شهدها البحر الأبيض المتوسط في القرن 15م، 16م مصطلح القرصنة رغم أن القرصنة كظاهرة بحرية قديمة قدم التاريخ، إلا أن هذه الفترة شهدت ازدهارا كبيرا لنشاطها في البحر المتوسط، وقد مارسها المسلمون والمسيحيون على حد سواء، في حالات الحرب أو السلم، لكنها اتخذت بعدا آخر بعد سقوط حكم المسلمين في الأندلس، واستمرت الحروب الاسبانية ضد المسلمين وانتقل الصراع إلى سواحل شمال إفريقيا (نورويش، 2015، صفحة 343)، وتميزت عن غيرها بالضوابط حسب ما ينقل عن بروديل في أطروحته، إذ يقول «...القرصنة ظاهرة قديمة في المتوسط، لكنها تختلف عنها في الأطلسي في أن الأولى لها قواعدها وأعرافها وتقاليدها، إذ كانت تعقبها مفاوضات بين الدول والمدن التي كانت تقوم بينها إلى تبادل القناصل صلات قوامها التواطؤ الذي يشترك فيه الأغنياء والدول إلى جانب الفقراء التائهين» (بروديل، 1993، صفحة 152).

هذه الظاهرة عرفها البحر المتوسط منذ أن تمكن الانسان من صناعة السفن وممارسة الملاحة في البحر، أدى الجهاد البحري الذي تبنته البحرية الجزائرية في الفترة العثمانية إلى خلق نوع من التوازن بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، حيث نجد أن ضفته الشمالية شهدت ظهور قوميات أوروبية حديثة تغذيها النزعة التوسعية والسعي إلى السيطرة، والضفة الجنوبية بعدما كانت تحت حكم ثلاث دول متنافسة ومتناحرة فيما بينها (بنو حفص في تونس، وبنو زيان في الجزائر، وبنو مرين في المغرب الأقصى) كلها دخلت في فلك الصراع العثماني الإسباني لتظهر بذلك إيالات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب (سعيدوني، 2000، صفحة 192).

تتراوح الآراء التي تفسر السبب الرئيسي للجهاد البحري/ القرصنة!! بين من يفسره بالاضطهاد الذي كان موجها ضد المسلمين في الأندلس، وبين من يفسره بالسعي وراء الحصول على المداخيل والثروات التي

كان يدرها هذا النشاط (شطب، 2015، صفحة 55)، ففي أوائل القرن 16م تم وضع حد للتسامح المتبادل بين المسلمين والمسيحيين خاصة في التجارة البحرية وذلك نتيجة للاضطهاد والطرد لمسلمي الأندلس وظهور البحرية العثمانية في البحر المتوسط، فقد أسس المسلمون المنفيون من إسبانيا مستوطنات على طول سواحل شمال، ثم وجهوا غاراتهم ضد سواحل إسبانيا ومهاجمة السفن المسيحية، وبخاصة في مضيق جبل طارق والمنطقة البحرية المحيطة بجزيرة مالطا (مصطفى، 1982، صفحة 92).

يبدو أن نقطة الاختلاف الحقيقية في الكتابات التاريخية هي المتعلقة بشرعية هذا النشاط، حيث أثارت هذه المسألة اختلافا بين المؤرخين ونالت الحظ الوافر من الاهتمام خاصة لدى الغرب، فبعد خضوع الجزائر للحكم العثماني ومنذ تنصيب خير الدين بربروس بيلربايا عليها، عرفت نظاما إداريا وسياسيا وعسكريا ساعدها لتصبح قاعدة عسكرية حصينة، وعرفت بدار الجهاد أو دار السلام، لهذا نجد المؤرخين الغربيين في كتابتهم عن البحرية الجزائرية يقرنونها بالقرصنة، ويرد ذلك بعدة أوصاف أخرى مثل: اللصوصية، السرقة، قطع طريق البحر...، كما وصفت الجزائر بوكر القراصنة، ومملكة القرصان وغيرها من الأوصاف، على الرغم من أن كل الدول الأوروبية كانت تمارس هذا النشاط ضد الدول المعادية، شأنها شأن الجزائر التي التي لم تخرج عن الإطار الذي نص عليه قانون البحار (جميل، 2018، صفحة 125).

ولم تكن القرصنة الأوروبية موجهة ضد السفن الإسلامية فقط، حيث نجد مثلا السفن الإسبانية والفرنسية عانت كثيرا من القرصنة الإنجليزية، سواء في حالات السلم أو الحرب، كما تعرض الإسبان للقرصنة الفرنسية، وفي هذه الحالات نجد المؤرخين الأوروبيين يحاولون تلطيف اللفظ بوصفها بأعمال اللصوصية الفردية، بينما يبدوا واضحا أن هؤلاء القراصنة مدعومين من طرف الدول الأوروبية مثل قراصنة الاسكوك وهم اللاجئون من المناطق التي فتحها العثمانيون تم منحهم أحد موانئ الساحل الأدرياتيكي من طرف ملوك الهابسبورغ من أجل استقرارهم فيه وممارسة أعمالهم (مروش، 2009، صفحة 148).

وتجدر الإشارة إلى أن ما جاء في الكتابات التاريخية الغربية عن الجهاد البحري والنتائج المترتبة عنه والقصص التي تحاك في هذا السياق والتي تكاد تلامس الخيال في بعض الأحيان يتخللها الكثير من التضخيم والمبالغة في الوصف، فلا يجب التعاطي كثيرا مع مثل هذه الكتابات والادعاءات الواردة فيها، خاصة التي ترى في نشاط البحرية العثمانية والجزائرية بأنها عملا لصوصيا (هلايي و بوجلال ، 2017، صفحة 574).

أما النقطة التي لا يختلف فيها المؤرخون بخصوص الأنشطة البحرية والغنائم التي تدرها بغض النظر عن مشروعيتها من عدمه، هو أنها كانت نشاطا مربحا على جميع الأصعدة، وأن الكثير من المدن الساحلية التي توجد بها موانئ كبيرة قد نالت حظا وافرا من عائدات البحر مما أدى إلى ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية بها مثال ذلك مدينة الجزائر أما إذا كانت قرصنة مضادة فإنها تصبح بمثابة حرب استنزافية ومعرقلة لمصالح الدول المعترضة لها (هلايلي، 2008، صفحة 42).

3. أخوية فرسان القديس يوحنا الانتقال من المستشفى إلى الثكنات:

لقد ظهر رهبان الأسبتارية مع أولى الحملات البيزنطية على الشرق في شكل مقاتلين غادروا بلدانهم بقصد الاستقرار في الأراضي المقدسة، وفي فلسطين أسسوا مراكز استشفائية للحجاج بأمر من غريغوري العظيم (ت604م)، وذلك في نهاية القرن السادس الميلادي، هذه المراكز التي تنوعت مهامها، لكنها احتفظت بدورها في ضيافة وخدمة الحجيج النصارى خلال الحكم الإسلامي لمنطقة فلسطين، فقد كانت موجودة تقريبًا بلا انقطاع حتى وصول الحملة الصليبية الأولى في نهاية القرن 11م، ومن أشهر تلك المستشفيات، مساكن الاستشفاء والضياف الكبرى المنسوبة للقديس يوحنا في القدس، في كل من القدس وعكا التي تأسست –على الأرجح– قبل عام 1070م، وبقيت تحت إدارة وتسيير تلاميذ القديس بنديك San Benedetto da Norcia وقد شكلوا رابطة دينية وعسكرية وقوة اقتصادية بعد الحملة الصليبية الأولى وقد ظهر دورهم البارز بقيادة زعيمهم الأول السيد جيرارد دي ريدفورت (المطوي، 1982، صفحة 96).

سعى السيد جيرارد حوالي عام 1080م، إلى أعلاء شأن المستشفيات بجدية من خلال الترحيب والحرص على سلامة الحجاج المسيحيين الذين جاءوا لزيارة الأرض المقدسة في وقعت كانت القدس تحت سيطرة المسلمين، ومع الحملة حملت الحملة الصليبية الأولى وفي حدود سنة 1099م دخلت المدينة تحت الحكم المسيحي، مما زاد ذلك من انعدام الأمن في المنطقة، فسعى الإخوة المضيافون، وعلى رأسهم جيرارد بمحاولات فرض الأمن والدعوة للمحبة والهدوء، حتى نال أول اعتراف من البابا باسكال الثاني في 15 فبراير عام 1113م وهو ما أكسب المتطوعين في المستشفيات نوعا من الشرعية والقداسة لدى القادة العسكريين وعامة الناس (Pierredon, 1999, p. 02).

بقي النظام الديني للفرسان في مستشفى القديس يوحنا في القدس، خلال السنوات الأولى غامضا نوعا ما ومحاطا بالسرية، غير أنه ظاهريا يشمل ثلاث فئات ذوي مهام محددة: نبلاء الفرسان، والقساوسة الرهبان، والنخبة غير النبلاء، وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء المتطوعين من الفرسان كانوا على ثماني لغات فيما أحصي من خلال الوثائق الجديدة التي عثر عليها كل فئة تخضع لقائد يسمى Pilier أو Bailli (Charles-Roux, 1911, p. 64)، وقد كان الجميع مهيأ أيضاً لحمل السلاح، لهذا كان الجميع يلقبون بالفرسان رغم اختلاف فئاتهم ولغاتهم.

غير أنه وفي وقت كان فيه الوضع السياسي متوترا غير مستقر؛ نتيجة النزاع المسيحي الإسلامي حول مدينة القدس، كان على فرسان الاسبتارية أن يتخذوا تدابير ونظم عسكرية لازمة تحميهم وتجد لهم مكانا في ذلك الصراع المحتدم، شأنهم شأن تنظيم فرسان الهيكل الذي تأسس في سنة 1119م، والذي باركته الكنيسة الكاثوليكية والبابا أوربان الثاني سنة 1129م، لذا فقد كان لزاما على زعيم رجال المستشفى ريموند دو بوي دي بروفانس (ت 1160) أن يغير اهتماماته من الأعمال الخيرية إلى التنظيم العسكري، وبناءً على طلب قدمه إلى البابا إينوسنت الثاني (1130-1143 م) منح ترخيصا بتشكيل تنظيم عسكري مشكل من فرسان ذوي لباس مخصص وعلم الصليب الأبيض عام 1130 لتمييزه عن

فرسان الهيكل، الذين كانوا يرتدون الصليب الأحمر، وفي هذا الشأن نجد الكثير من الباحثين لا يميزون بين فرسان الهيكل، وفرسان الاسبتارية فرسان القديس يوحنا (محمد، 2009، صفحة 34).

تجدر الإشارة إلى أن البعض من الفارين من محاكم التفتيش التي أقيمت بأمر من الملك فيليب الرابع والبابا كلمنث في 22 نوفمبر 1307م، جعلتهم ينطوون تحت مضلة فرسان الأسبتارية، مما جعل الأخوية تتحول إلى اتجاه آخر يتجاوز المسيحية أحيانا إلى محاولة للبحث عن وطن خاص بهم بدل التجوال في كامل أوروبا وصقلية وإرمينيا (CHEVALIER, 2017, p. 333) ولا سيما بعد أن نصت الأوامر الملكية والبابوية في معظم أوروبا على اعتقال فرسان الهيكل وتجريدهم من أموالهم وممتلكاتهم، وأقام البابا كليمنت إلى جلسات استماع ومحاكمات للنظر في شأن إدانة فرسان الهيكل، وقد أنكر فرسان الهيكل ما نسب لهم من الدعوة إلى الإلحاد وإهانة لصليب، وعبادة الأصنام وممارسة الدعارة والشذوذ الجنسي، فنجا الكثير منهم، غير أنهم اضطروا فيما بعد وبأمر من الملك فيليب الرابع عام 1310 إلى إجبارهم على الاعتراف تحت ضغط التعذيب ليحكم على العشرات من أعضاء التنظيم بالإعدام حرقًا في باريس (Baigent & Leigh, 2009, p. 18).

4. شتات الفرسان بين جزر المتوسط قبرص، رودس ومالطا بداية القرن 16م:

تجدر الإشارة إلى أن فرسان الاسبتارية ليسوا بالضرورة فرسان الهيكل، على الرغم من التشابه الكبير والتقارب في الظروف التاريخية التي لقيها الفريقان، ففرسان الهيكل اختاروا الفرار إلى المناطق البعيدة ليعيشوا تحت الظل بعيدا عن التقلبات السياسية والمذهبية؛ وفي منأى من اضطهاد الملك الفرنسي فيليب، وهو ما جعلهم يختارون اسكتلندا لتكون مقرا آمنا لهم ليواصلوا طقوسهم في سرية تامة (Baigent & Leigh, 2009, p. 18)، غير أن فرسان الاسبتارية الذين سيحملون فيما بعد اسم فرسان القديس يوحنا؛ كان لهم شأن آخر، وهو الاندساس داخل المقاتلين الأوربيين تحت مضلة المسيحية وتلبية الجهاد المقدس، مكونين في الوقت نفسه أخوية سرية تبحث عن وطن قومي لها (الباروني، 1952، صفحة 76).

تذكر كارمن دي باسكال Pasqual De Carmen وهي أستاذة باحثة في التراث الثقافي المالطي، أن مالطة كغيرها من الجزر قبرص ورودس ... ولا طرابلس التي أقاموا فيها محتلين لمدة قاربت الخمسين سنة لم تكن تثمل لهم شيئا مقارنة برغبتهم في الاستقرار في مدينة القدس، فهذه الأماكن في نظر خدام القديس يوحنا لم تكن إلا صخورا بائسة عقيمة لا جدوى منها، غير أن الأمر تغير بعد 1530، وهو تاريخ استقرار جماعات من مناطق مختلفة ولغات مختلفة (ثماني لغات وجنسيات) كلها استقرت في جزيرة مالطا، وبهذا الحدث المحوري أصبحت مالطا أحد أثرى المناطق المتوسطية ثقافة، إذ لا يزال حتى اليوم في مالطا عدد من التحصينات والقصور والكنائس والحرف، وأيضا تراث مؤلف من المخطوطات النفيسة والأعمال المطبوعة تزخر بها مكتبة مالطا الوطنية (Depasquale, 2011, p. 95)، وتشير أيضا الباحثة نفسها؛ إلى أن قدوم فرسان القديس يوحنا إلى مالطا قد رسخ العلاقات بينها وبين أوروبا ولا سيما إيطاليا، عن طريق اللغة الإيطالية التي كانت تستخدم في الإدارة، وكذا فرنسا عن طريق لغتها التي كانت الأقرب إلى السكان، وخصوصا بعد القرن الثامن عشر الميلادي؛ فقد كان الفرسان الفرنسيون هم الأكثر عددا، لذا كانت فرنسا الدولة الأقرب إلى مالطا (Depasquale, 2011, p. 97)، أما الكنيسة الإسبانية الكاثوليكية فهي المرجعية المذهبية الأولى –على الأقل ظاهريا–.

لطالما عانى العثمانيون من قراصنة جزيرة رودس التي كانت في أيديهم لأكثر من مائتي سنة عندما تولى السلطان العثماني سليمان القانوني حكم الدولة العثمانية، إضافة إلى الجزر الصغيرة المجاورة لها، وكان هؤلاء القراصنة ينتمون إلى تنظيم ديني ترجع جذوره إلى عهد الحروب الصليبية الأولى على بيت المقدس (الوذيناني، 1997، صفحة 43).

مثلت جزيرة رودس نقطة تهديد جدي لجميع السفن العثمانية التي أصبحت معرضة لنهب تجارتها وأسر ملاحيها، ولم تسلم سفن الحجاج من هذا التهديد، في المقابل كان البحارة والتجار والمسافرين المسيحيين يجدون الحماية والعون من طرف قراصنة جزيرة رودس، وقد زاد عدائهم للعثمانيين إلى درجة

مساعدة والي الشام عندما ثار ضد السلطان سليم الأول، كما أضمروا العداء الشديد لخليفته السلطان سليمان الأول (الوذيناني، 1997، صفحة 43).

غير أن فتح مصر قد خلق ضرورة ملحة في تأمين المواصلات البحرية بين موانئ المشرق وميناء الإسكندرية، حيث يتركز الخطر خاصة في جزيرة رودس، إذ يضاف على هذا الخيار الاستراتيجي سبب آخر يدعوا السلطان العثماني للتحرك اتجاهها وتمثل ذلك في الشكاوى التي يتلقاها ضد فرسان القديس يوحنا الأورشليمي الذي كان يتآمر مع أعداء الدولة العثمانية (نورويش، 2015، صفحة 343).

5. الدعم الكنسي لفرسان مالطا:

بعد تمكن جيوش السلطان العثماني سليمان القانوني من فتح جزيرة رودس سنة 1522م، وقد أصدر قرارا يسمح لسكان هذه الجزيرة بالمغادرة، فرحل فرسان القديس يوحنا إلى مالطا وجعلوا منها قاعدة حصينة لهم (مصطفى، 1982، صفحة 89)، هؤلاء الذين كانوا من ألد الأعداء للمسلمين، إذ قضوا حياتهم في محاربة المسلمين وتعطيل مصالحهم السياسية والتجارية، ولم يدخروا مجهودا في التضييق عليهم بشتى الوسائل، ومن قاعدتهم الجديدة – مالطا- أصبح فرسان يوحنا يغيرون على السفن العثمانية وقد أصبحوا أكثر تحصينا من ذي قبل، وأقوى عدة وعتادا خاصة بعدما أصبحوا من حلفاء الملك الإسباني شارل الخامس الذي منحهم جزيرة مالطا بشروط معينة أهمها أن تقوم هذه المنظمة بالدفاع عن قلعة طرابلس الغرب وكامل المدينة (التميمي، 1989، صفحة 73)، وبالتعاون مع القبطان الجنوي الشهير أندريه دوريا، هذا الأخير الذي اتخذهم أداة لضرب الملاحة الإسلامية في الحوض المتوسط مستغلا بذلك موقعهم الإستراتيجي وقربهم من الساحل المغاربي والمصري والشامي، وهذا ما اعتبره الإسبان دعما لمواقع نفوذهم في حلق الوادي بتونس والمرسى الكبير ووهران بالجزائر.

لم تضيع أوروبا ومن ورائها الكنيسة فرصة واحدة في مسعاها لتطويق القوة البحرية ونشاط الملاحة الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط، لا سيما مع تنامي القوة الجزائرية التي أصبحت تشكل حقيقة تهديدا لأوروبا عموما وللتاج الإسباني بالخصوص، وبالضبط بعد خسارة الملك الإسباني شارلكان في معركة

الساحل الجزائري 1541 (العبيدي، 2011، صفحة 299)، فلهذا نجد الخطاب الإسباني سواء الملكي أم الكنسي يسعى إلى تأليب كل الأطراف على الجزائر وأي خطر بحري محتمل تتبناه الدولة العثمانية، فالإسبان في هذه الأثناء باتوا متفائلين بميلاد قراصنة جدد في البحر الأبيض المتوسط يعملون ضد الجزائر والدولة العثمانية ولصالح المسيحية الكاثوليكية، فكانت مالطا مركزا للقرصنة المسيحية المنظمة تحارب بدعم أوروبي نيابة عن أوروبا والمسيحية كلها (هلايي و بوجلال ، 2017، صفحة 565)، هي في نظرهم حركة جهادية صليبية مقدسة.

وصفت المصادر التاريخية الأوروبية الجزائر ونشاطها في البحر الأبيض المتوسط باللصوصية والقرصنة، وكثيرا ما كانت الخطابات في تلك الكتابات تراجيدية حماسية تدعوا إلى النفير العام وتحرير الأسرى والتكاتف والاتحاد من أجل تحرير البحر المتوسط من السيطرة الجزائرية العثمانية، وإنقاذ الأبرياء المسيحيين من معاناة الأسر، فكثيرا ما كانت تدعو تلك الخطابات إلى جمع الكلمة للقضاء على السيطرة الإسلامية على حوض المتوسط، كل هذا نستشفه من خلال كتابات الأب دان وديغو هايدو وغيرهما... (Dan, 1649, p. 70) (Haedo, 1881, p. 7).

ولكن بالمقابل يمكن القول أن القرصنة لم تكن حكرا على الجزائر والدولة العثمانية فقط وإنما كانت القرصنة نشاطا شائعا، ويعترف بذلك فرناند بروديل مؤرخ البحر الأبيض المتوسط في القرن العشرين، وكذلك غيره من المؤرخين المنصفين الذين يرون أن الهلال لم يكن إلا مواجها للصليب فحتى فرسان مالطا قد نصبوا أنفسهم كأصحاب حقوق في شرق البحر المتوسط انطلاقا من قاعدتهم مالطا، وكثيرا ما اعتدوا على السفن التجارية واعترضوا بعض السفن الحربية وقطعوا طريق الحج البحري بين رودس والإسكندرية هذه الطريق كانت أيضا طريق تجارة للخشب والسكر والتوابل والقمح والأرز، وفي هذا المجال اعترفت المؤرخة كورين شوفالييه أن القرصنة بالنسبة للمسلمين كانت شكلا من أشكال الجهاد البحري ولو انها تتخذ أحيانا طابع الحروب الصليبية من جانب المسيحيين (هلايي و بوجلال ، 2017، صفحة 565).

6. الدولة العثمانية تسعى للاستياء على البحر المتوسط:

بعد استقرار الحكم لخير الدين في الجزائر وتمكنه من استرجاعها بمساعدة سلطان قلعة بني عباس من يد حاكم قبائل كوكو ابن القاضي الذي استسلم له عام 1526م، وجه اهتمامه لقلعة البنيون التي يسميها الجزائريون برج الفنار للتخلص من المدافع الإسبانية التي كانت تهدد المدينة، وبعد حصار طويل وتدهور حالة جنود الحامية الإسبانية ووصول أخبارهم إلى خير الدين راسل القائد مارتين فارغاس من أجل الاستسلام ولكنه رفض وأرسل إلى الملك الإسباني يصف له الحال ويطلب المدد (كربخال، 1984، صفحة 365)، وبعد شن هجوم عنيف عليها وتثبيت مدفعين موجهين مباشرة نحو الجزيرة تمت قنبلتها لأكثر من 15 يوما، وقد قام بايفاد مبعوث إلى قائد الحامية الإسبانية المتواجدة في الحصن من أجل الاستسلام دون جدوى (Grammont, 1887, p. 35)، وبعد معركة شرسة مع الحامية الإسبانية الموجودة في هذا الحصن بقيادة مارتان فيرغاس استسلم يوم 21 ماي 1529 م، وبذلك حقق خير الدين نصرا استراتيجيا على الإسبان إذ قام ببناء رصيف يربط ميناء مدينة الجزائر بصخرة البنيون.

مهد هذا الانتصار الذي حققه خير الدين لسلسلة من الحروب السجال التي دارت بين الاسبان والجزائريين، وقد كانت إسبانيا هي أكثر الدول الأوروبية تضررا من الانتصارات التي حققها خير الدين، وقد دخلت في تلك الفترة بما يصطلح عليه بتسمية الإمبراطورية المقدسة، والتي شملت العديد من الأقاليم الأوروبية المهمة، وكان أول رد فعل للإسبان بقيادة البحار الجنوي أدريه دوريا حين هجم سنة 1531م على ميناء شرشال وقد وضع تحت تصرفيه 40 سفينة على متنها 1500 مقاتل، كان هدفها احتلال مدينة شرشال التي كانت ملجأ يستقبل المهاجرين الأندلسيين، ثم التوجه إلى مدينة الجزائر للقضاء نهائيا على الإيالة، ألا أنه فشل فشلا ذريعا إذ استطاع خير الدين من تطويق جيش الأميرال دوريا بعد اقتحام هذا الأخير المدينة، وأسر خير الدين 600 جندي منهم، ودحرا دوريا مهزوما (أبلالي، 2017، صفحة 123).

بنجاح خير الدين بربروس في الاستيلاء على تونس عام 1534م وافتكاكها من يد الإسبان، استولى الأتراك على ميناء آخر قوي على سواحل شمال إفريقيا، وبذلك شعر الإمبراطور شارل الخامس، بالتهديد العثماني المباشر، فكان له رد فعل على ذلك مما فتح الباب لسلسلة من الحروب بين الطرفين استمرت طوال القرنين 15 و16م، بين جبهات عديدة من الدول الأوروبية بقيادة إسبانيا والدول الإسلامية بقيادة الدولة العثمانية (ماخوفسكي، 2016، صفحة 87).

في المقابل استطاع القبطان الجنوي أندريه دوريا أن يكون أسطولا صليبيا قويا مكنه من استرجاع تونس سنة 1535م، بعد لجوء الأمير الحفصي إلى الإسبان فساعدوه على استعادة عرشه وبذلك عاد النفوذ الإسباني في الساحل الشرقي للمغرب، وبعدها بوقت ليس بطويل طلب الملك الفرنسي فرنسوا الأول المدد والعون من السلطان العثماني ضد الملك شارل الخامس، فأرسل السلطان قوة بحرية على رأسها خير الدين بربروسا من أجل مساعدة الفرنسيين في استرجاع قلعة نيس التي سيطر عليها الإسبان وكان ذلك بمثابة رد للعثمانيين على جهود أندريه دوريا (مصطفى، 1982، صفحة 94)، وبعد إنهاء مهمته وفي طريق عودته أغار على الجزر الواقعة في البحر المتوسط مثل: إلبا Île d'Elbe ، إيسيكيا... وعاد محملا بالغنائم والأسرى كما حرر عددا معتبرا من الأسرى المسلمين في فرنسا دون تقديم فدية (ماخوفسكي، 2016، صفحة 103).

كان من نتائج هذا التحالف الفرنسي العثماني أن سيطر خير الدين بربروسا على بنزرت في تونس، وبذلك أصبح الأتراك يشكلون تهديدا كبيرا على نابولي وتدمير بعض الجزر التي كانت خاضعة لنفوذ جمهورية البندقية المتحالفة آنذاك مع الإمبراطور الإسباني (ماخوفسكي، 2016، صفحة 103).

شهدت سنة 1537م مواجهة جديدة بين الخصمين خير الدين وأندريه دوريا بالقرب من السواحل الإيطالية، فبعد تحرك الأسطول العثماني المكون من 153 سفينة مضافا إليه 280 سفينة، صدرت الأوامر السلطانية بقصف الشواطئ الشرقية لإيطاليا، وبينما الأسطول في طريقه إلى هناك باغته

دوريا واستطاع أن يستولي على حوالي 12 سفينة من أطول الأتراك (متولي، 2005، صفحة 260)، لكن خير الدين بربروس تمكن في عام 1538م من هزيمة اندريه دوريا الذي كان على رأس قوة بحرية صليبية تتكون من سفن البندقية وجنوة والبابوية وفلورنسا ومالطا في موقعة بريفيزا Prevesa ويذكر خير الدين في مذكراته أن الأسطول الصليبي كان يتكون من أكثر 600 سفينة بينما كان هو كان على رأس قوة تتكون من 122 سفينة (مجهول، 2010، صفحة 184).

ثم يعود أندري دوريا مرة أخرى ليظهر على واجهة الأحداث بعد أن أوكل له الامبراطور شارلكان بجمع أسطول كبير في خليج ليون جنوب فرنسا، من أجل توجيه الضربة القاضية لإيالة الجزائر، وهذه المرة كان على خير الدين أن يواجه القوى المسيحية المتحالفة ضده، حيث بلغ عدد السفن المشاركة حوالي 200 سفينة من بينها 8 سفن تابعة للبابا، و30 سفينة إسبانية (ماخوفسكي، 2016، صفحة 103)، إضافة إلى اللفيف المقاتل المتكون من البندقية وجنوة والبابوية وفلورنسا ومتطوعي مالطا (المحاسيس، 2011، صفحة 169).

7. حصار مالطا وانتصار الإسلام المؤقت:

أصدر السلطان سليمان القانوني أوامرا إلى حسن باشا، ودرغوث باشا وعلج علي باشا وغيرهم من رياس البحر المسؤولين عن الإيالات العثمانية الغربية، ويوضح لهم مدى أهمية الحملة ضد مالطة بالنسبة له، والامكانيات الحربية والمادية التي بذلها من أجل الاستعداد لهذه الحملة، حيث جهز الأسطول العثماني بحوالي 170 سفينة، وجيش يتألف من 30 إلى 36 ألف جندي بقيادة الصدر الأعظم مصطفى باشا، اضافة إلى حوالي 40 سفينة من الجزائر بقيادة حسن باشا، كما التحق درغوث باشا بأسطوله من طرابلس الغرب (مروش، 2009، صفحة 137).

قام درغوث باشا بقيادة الهجوم على قلعة سانت إيلم، ولكنه توفي بعد اصابته بقنبلة، واستمر الحصار من 15 ماي إلى 20 سبتمبر 1565م، بسبب المقاومة التي أبداها الأعداء وكذا تأثر المقاتلين بوفاة درغوث باشا، لكن بعد وصول الدعم من القوات الإسبانية أمر الصدر الأعظم برفع الحصار

والانسحاب، وتم مباشرة تعيين علج علي باشا بيلرباي على طرابلس الغرب (مروش، 2009، صفحة 137).

كما نسجل احتكاك القوتين المتنافستين مرة أخرى في تونس سنة 1569م، حيث حاول علج علي باشا فتح تونس، ولكن أميرها أبو العباس أحمد الحفصي استنجد بالإسبان، فاستجاب الاسبان بارسال قوة بقيادة الدون خوان النمساوي الابن غير الشرعي لشارل الخامس، وقام باعادته إلى منصبه، وتولى مرة أخرى السلطنة الحفصية تحت السيادة الإسبانية (المطوي، 1982، صفحة 273).

8. الخاتمة:

إن مجال البحث في العلاقات بين الغرب والشرق واسع لا يمكن حصره في بعض المقتطفات والأحداث التاريخية، ولكن لفهم تلك العلاقة يكفي أن يظهر في الأفق شعاع دين أو حضارة حتى تجد نفسها أمام تحديات المجاورين، ويكفي بروز الفوارق الأولى بين المتجاورين أن يخلق العداء والصدام، وفي مجال الدراسة والبحث والمقارنة بين خصوصيات الشرق الإسلامي والغرب المسيحي تطفح للسطح جليا تلك الفوارق الجوهرية في المعتقدات، ثم إن الخلفيات القديمة التي ترجع إلى أولى المواجهات بين الدولة الإسلامية الفاتحة المتوسعة "الدولة الأموية" وبين الممالك والدول الأوروبية التي أصبحت تشعر بالخطر ولم تعد تظمن بقاءها، ولعل المواجهات الأولى لدولة الإسلام مع بيزنطا تشرح مدى شعور الغرب المسيحي بخطر توسع المسلمين، مثل حصار القسطنطينية سنة 40هـ، وفتوح مصر والمغرب وفلسطين والشام والأناضول والاندلس، لكل هذا يمكن أن نقول أن الحملات الصليبية مبرر لها تاريخيا.

أما في إطار القرن 16 الميلادي كمجال تاريخي؛ فيمكن أن نقول أن العلاقات السياسية والدبلوماسية والثقافية والدينية والتجارية أصبحت مهددة بخطر الزوال، ليست العلاقات فحسب؛ ولكن أوروبا كلها مهددة.

لا مفر من الاعتراف بأهمية البحر الأبيض المتوسط، الأهمية الحضارية بالنسبة لحضارات الشرق الأدنى، الأهمية التجارية والاقتصادية، وكذا بالنسبة للدولتين الأموية والعباسية، وأيضا الدولة العثمانية التي تمثل الإسلام في العصر الحديث، فسيطرتها عليه هي السيطرة على العالم فعلا، وهو التوجه الذي فكرت فيه الدولة العثمانية في زمن السلطان سليمان القانوني، إذ كانت استراتيجيتهم حينها حصار وفتح فينا، بالتزامن مع الهجوم من جهة الغرب على الأندلس، غير أن هذا الحلم الإسلامي لم يتحقق.

أهم ما ميز الفترة التي سبقت الوصول العثماني إلى المتوسط هو تلك الفرقة والعداء التي وسمت العلاقات بين المسلمين في المغرب والمشرق، ولكن بفضل الجهاد البحري الذي قاده السلاطين العثمانيون خلال القرن السادس عشر، تم توحيد الصفوف نوعا ما، بالمقابل حرص الغرب المسيحي بقيادة إسبانيا على حروب الاسترداد والسعي إلى توحيد كامل أوروبا، وتمكنوا من إسقاط العديد من المدن حتى في الضفة الجنوبية للمتوسط على غرار طرابلس وبجاية ووهران...، وتطور الأمر فيما بعد إلى تهديد بالاحتلال الشامل لبلاد المغرب الإسلامي، وبهذا لا نتحرج من مصطلح الجهاد البحري الذي لفت أنظار أوروبا المسيحية التي استعملت مصطلح القتال المقدس.

بالعودة إلى مصطلح القرصنة نجد أن معناها هو عملية النهب والسلب وإعاقة الملاحة في البحر، وتعريفها بطريقة إجرائية فيمكن القول أنها تطلق على كل عمل يقوم به فرد أو جماعة محدودة العدد بهجوم مسلح في البحر مستخدمين السفن المسلحة لسلب ما تحمله سفن الغير دون أن تكون هناك عداوة سابقة أو حرب معلنة بين الطرفين (الشيخ، 2011، صفحة 200)، وبذلك يكون الفاصل بين القرصان والبحار هو أن القرصان لا يعترف بأي سلطة تقيد إرادته، أو يظهر الولاء لأي حاكم، بل كان القراصنة يهاجمون بدون تمييز السفن الصديقة أم المعادية، فقط يتتبع القرصان مصلحته الخاصة وهدفه الوحيد هو السلب والنهب، الثروة والمال، بينما رياس البحر كانوا يتمتعون بالشرعية كونهم موكلين من طرف أمراء أو حكام بلدانهم، ويوجهون أنشطتهم ضد أعداء بلدانهم أو أعداء دينهم، وبهذا التعريف يمكننا أن نقول أن نظرة الغرب المسيحي للمسلمين لم تكن إلا نظرة دونية احتقارية انتقامية على أنهم قراصنة ولصوص بحر

ليس إلا، وهو ما جعلهم يفكرون في شن أكبر حملة استعمارية احتلالية في تاريخ البشرية، واتضح ذلك من خلال مخرجات المؤتمرات المتتالية كمؤتمر إكلاشابيل1918 وغيره... (بوعبدالله، 2017، صفحة 34).

بهذا التوصيف فإن الأعمال التي تقوم بها القوات المسلحة التابعة لأي بحرية تحت تصرف دولة مستقلة ومعترف بها في الدفاع عن سواحلها ضد سفن الدول المعادية لا يمكن أن يطلق صفة القرصنة، ومنه فإن العمليات التي كان يقوم بها البحارة المسلمون في البحر الأبيض المتوسط ضد سفن إسبانيا والبرتغال وفرسان القديس يوحنا خلال العهد العثماني، هي عبارة عن جهاد بحري جاءت كرد فعل للتجاوزات التي تقوم بها الدول الأوروبية في مقدمتها إسبانيا، وكذا ردا للهجمات والتحالفات المسيحية ضدها، والاضطهاد الذي عانى منه المسلمون في أوروبا.

أما فرسان القديس يوحنا الذين استوطنوا جزيرة مالطا بعدما سقطت جزيرة قبرص في يد العثمانيين، نجدهم يستولون على كل السفن التجارية الإسلامية التي يتمكنون منها، ويجعلون من البحر الأبيض المتوسط غير آمن على الحجاج المسلمين والتجار الذين يتنقلون من الولايات العثمانية الغربية إلى المشرق، ورغم ذلك كانوا يرفعون الصليب وَيَدَّعُونَ أن الله يبارك أعمالهم، ولا نستغرب ان ذهنية القرن السادس عشر الميلادي كانت اقرب إلى ذهنية العور الوسطى، فالفكر الديني كان أعمق وأعقد في المجتمعين المسيحي والإسلامي على السواء.

لقد شهد العالم في نهاية القرن الخامس عشر أحداثا كان لها الأثر البالغ في كل من العالم الإسلامي والعالم المسيحي؛ فسقوط القسطنطينية في يد العثمانيين 1453، وسقوط غرناطة 1492، معركة ليبانت الأولى 1499، وليبانت الثانية 1571، ومعركة وادي المخازن 1578 ومعارك أخرى كان لها الصدى الواسع في تزايد الاحتقان بين الأطراف المتحاربة، ولك يمثل فرسان القديس يوحنا في كل هذه الأحداث إلا الهامش غير ذي الوزن الثقيل، وذلك إذا ما قارننا أداءهم بغيرهم كالبندقية وباقي المدن الإيطالية مثلا.

يدافع الكثير من المهتمين بالتاريخ –العرب أو الغربيين– عن فكرة التاريخ الخفي وعن أسرار فرسان القديس يوحنا وعلاقاتهم المتينة بفرسان هيكل النبي سليمان او فرسان المعبد، ويذهب آخرون إلى أنهم النواة الأولى لجماعة البنائين الأحرار أو ما يعرف بالماسونيين، ولكن الوقائع التاريخية تفيد بغير ذلك وأن هناك اختلاف كبير بين الطائفتين، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في هذه المقالة.

تجدر الإشارة إلى ان الكثير من الأفراد والجماعات غير المنسجمة قد دخلت في صفوف فرسان القديس يوحنا وذلك طلبا للحماية وهربا من العنف والاضطهاد الذي قد يلاقيه بعضهم، وهو الأمر الذي أكد لقادة الأخوية بضرورة البحث عن وطن قومي يضمن الحرية والاستقلالية والعيش الكريم، ورغم أن افراد الأخوية كانوا يحظون أحيانا بدعم المسيحية والبابوية والتاج الإسباني؛ ولا سيما بعد أن أقطعوهم طرابلس وقبرص ومالطا، إلا أن الهدف النهائي هو محاولتهم الوصول إلى بيت المقدس واتخاذها سكنا لهم، فهي المدينة التي انطلقت منها دعوتهم الأولى.

لم ينه العثمانيون مسيرة فرسان القديس يوحنا بالقوة، ولكن انهزامهم كمقاتلين في حوض البحر الأبيض المتوسط جعلهم يظهرون بصورة أفضل، إذ رجعوا إلى ما كانوا عليه من الأعمال الإنسانية والتطوعية والخيرية، ولا سيما بعد أن تأكدوا من أن أوروبا لم تهبهم شيئا بعد كل تلك التضحيات المقدسة التي قدموها.

9.مراجع

Baigent , M., & Leigh, R. (2009). Des Templiers aux francs-maçons. Paris: J'ai lu.

Charles-Roux, J. (1911). Jules Charles-Roux, Le Grand Prieuré dSaint- Gilles Saint- Gilles: sa légende, son abbaye, ses coutumes. France: Bloud.

CHEVALIER, M.-A. (2017). Le Royaume Arménien de Cécile et les ordres religieux-militaires de recrutement Occidental, Grands traits d'une Histoire partagée. In M.-A. Chevalier. Madrid: Casa de Velázquez.

Dan, P. (1649). Histoire de Barbarie et de ses Corsaires, des royaumes et des villes d'Alger, de Tunis, de Salé, & de Tripoly. Paris: chez Pierre Rocolet.

Depasquale, C. (2011). La vie culturelle des Chevaliers de Malte au XVIII e siècle.

Grammont, H. d. (1887). Histoire d'Alger sous la domination turque (1515 – 1830). Paris: édition Ernest Leroux.

Haedo, F. D. (1881). Histoire des rois d'Alger (Epitome de los reyes de argel – valladolid 1612). Alger: Edition Adolphe Jourdan.

Kaiser, W. (2013). Histoire sociale du monde méditerranéen à l'époque moderne. Annuaire de l'EHESS, pp. 1-3.

liauzu, C. (1999). La Méditerranée selon Fernand Braudel (31 ed.). L'Année du Maghreb.

Pierredon, G. M. (1999). La vocation hospitalière de l'ordre souverain de Saint-Jean de Jérusalem, de Rhodes et de Malte: les oeuvres hospitalières françaises de l'Ordre de Malte, 1927-1998. Biarritz: Atlantica.

أحمد عبد الرحيم مصطفى. (1982). أصول التاريخ العثماني. بيروت: دار الشروق.

أحمد فؤاد متولي. (2005). تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها إلى نهاية العصر الذهبي. القاهرة : ايتراك للنشر والتوزيع.

أسماء أبلالي. (2017). التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ/16م قراءة في الدوافع والنتائج. غرداية : مجلة روافد للبحوث والدراسات.

المنور مروش. (2009). دراسات عن الجزائر في العهد العثماني. الجزائر: دار القصبة.

المنور مروش. (2009). دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (القرصنة الأساطير والواقع) (المجلد 2). الجزائر: دار القصبة.

باتسيك ماخوفسكي. (2016). تاريخ القرصنة في العالم. القاهرة: مكتبة المشارق للنشر والتوزيع.

جاسم محمد شطب. (2015). الاستراتيجية العثمانية في شمال إفريقيا في القرن 16م. الكوفة: مجلة آداب الكوفة.

جخدان بوعبدالله. (2017). المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية1814 - 1818 "مؤتمر إكس لاشابيل 1818. عصور.

جون جوليوس نورويش. (2015). البحر الأبيض المتوسط –تاريخ بحر ليس كمثله بحر–. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

جوناثان رايلي سميث. (1989). الأسبتارية – فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص (1050 – 1310م). دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر .

حنيفي هلايلي. (2008). أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني. عين مليلة: دار الهدى.

حنيفي هلايي، و مسعودة بوجلال . (2017). قضايا البحر الأبيض المتوسط بين الجهاد والصليبية من خلال كتابات فرناند بروديل. 15– 16.

خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني. (1997). الفتح الإسلامي لجزيرة رودس 929هـ / 1523 م. مكة المكرمة : جامعة أم القرى.

رأفت غنيمي الشيخ. (2011). دراسات أفريقية في التاريخ الحديث والمعاصر. القاهرة.

عائشة جميل. (2018). عائشة جميل. سيدي بلعباس: أطروحة دكتوراه غير منشورة.

عبد الجليل التميمي. (1989). الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني وقضية الموريسكيين. زغوان.

عبد المنعم مختار. (1966). أضواء على ماهية معركة ذات الصواري.

علي العبيدي. (2011). الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر 1541 وأثرها على توازن القوى في غرب المتوسط. وهران .

فرناند بروديل. (1993). المتوسط والعالم والمتوسطي في عهد الملك فيليب 2. بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات.

مارمول كربخال. (1984). إفريقيا . الرباط : الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار المعرفة، .

محمد العروسي المطوي. (1982). الحروب الصليبية في المشرق والمغرب. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

محمد عمر الباروني. (1952). الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس. طرابلس: مطبعة ماجي.

منصور عبد الحكيم محمد. (2009). دولة فرسان مالطا وغزو العراق. حلب: دار الكتاب العربي.

مؤلف مجهول. (2010). مذكرات خير الدين بربروس. الجزائر : شركة الأصالة للنشر والتوزيع.

ناصر الدين سعيدوني. (2000). ورقات جزائرية. بيروت: دار الغرب الإسلامي .

نجاة سليم المحاسيس. (2011). معجم المعارك التاريخية. عمان: دار زهران.